في حالة مرح وهن يتناقرن كديوك المسابقات، ولا كانت أي منهن تقصد عرضا تمثيليا، وإن توفر لي في أي لقاء يجمعهن كل عناصر العرض).

فرنشيسكا تسكن في الشقة المقابلة لشقتنا، والمرأتان الأخريان، دنيز وآديل، تسكنان الطابق الرابع. هل كن يأتين دائما معا أم أنني لا أذكر سوى تلك الزيارات التي تجمع ثلاثتهن؟ أذكر زيارتهن الصاخبة بعد الحريق: تنهدت فرنشيسكا بعمق وقالت «الله يرحمه روبرتو، هو مسكين، لو هو ما ماتش كان هو ما يعرفش فين يروح. يعني شبرد اتحرق، وكمان سيسيل وكمان الريتز. بديعة مش مهم، لأنه هو محترم مش بيروح بديعة. لكن فين هو يروح؟! أحسن هو مات، مش حيزعل ويقول فين أروح؟!» تطلعت إلى أمي فجأة وسألتها بقلق: «إنت مدام، اشتريتي اللانجيري لأختك ولاّ لسه؟» (وكانت أمي تشتري لخالتي ملابس استعدادا لزفافها) قالت أمي إنها اشترت. قالت فرنشيسكا: «كله، كله؟ قمصان النوم، الأرواب، الليزوزات؟!» اشترينا. «حمدالله، حمد الله، أنا امبارح افتكرت، قلت مسكينة جارتنا، فين هي تشتري لأختها الجهاز، شيكوريل، شملا، داود عدس، بن زايون كله اتحرق. بديعة مش مهم، أحسن بديعة اتحرق!»

فرنشيسكا امرأة قصيرة، بدينة، غالبا ما ترتدي أثوابا بسيطة أقرب لمرايل بنات المدارس أو الممرضات، وإن تميزت عنها بفتحة كبيرة مدورة تكشف عن النحر وأعلى الصدر المكلّفين بالنمش. تتحدث بسرعة وبلا انقطاع بخليط من عربية مكسرة وفرنسية ذات لكنة إيطالية تتخللها عبارات ما شاء الله، وإن شاء الله، والحمد لله، وما تيسّر من أمثال شعبية. تفصّل الثياب لنساء الأثرياء فتكثر من الحديث عما سمعته منهن، ما قالته مدام فلان باشا، وما أكدته ابنة فلان بيه. تشي مشيتها ووجهها وشعرها الأشيب المعقوص بأنها تجاوزت الستين، ولكن حركة يديها وصوتها وإيقاع جملتها توحي أنها أصغر من ذلك بعشر سنوات أو ربما عشرين.